وقد روى عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية
لما فيها من عتبه وابدأها اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه
السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلاف ولا اضطراب في عمد
ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله
ابن عبد الله عن ابن عباس لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه
فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله وحسبنا وكثر
اللغط فقال قوموا عني وفي رواية اختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من
يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر **قال** ائمتنا
في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشي ونحوها مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وهذا لا
يصح على ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا
هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق
الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة وفي حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطريق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر واهجر على انه دهشة من قائل ذلك وحيرة

ذكر الوصية

ونحوه مما يطرأ

لعظيم

لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي
اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية
ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد
يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا
بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم
يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه
السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما رأوه
من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلوا في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة
وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي
صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك او يختلفون فلما
اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في
هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)